

الفضاء الذي يبقى

الإحتفال
بهينريش بول
ففي ثلاث قصص
قصيرة

توليفة
بصرية

”ثمة دائماً ما سيبقى، قد يسميه المرء غموضاً، أو سرّاً، سيّان عندي، لكنه يبقى وسيبقى مساحةً وإن كانت ضئيلة، لا ينفذ إليها عقل أصولنا، لأنه يصطدم بالحكمة الغامضة حتى الآن للشعر وفن التخيل، اللذين يبقى تجسدهما عصياً على الإدراك، مثل جسد امرأة أو رجل أو حتى حيوان. الكتابة هي – بالنسبة لي على الأقل – حركة إلى الأمام، غزو جسد لا أعرفه إطلاقاً، مبتعداً عن شيء ومقترباً من شيء ما زلت لا أعرفه.“

— هاينريش بول، من محاضرة جائزة نوبل للأدب، ١٩٧٢

المساهمون في إصدار الكتاب

الرسوم: ميجو رولتس، رفائله مكارون، مجدي الشافع
الترجمة: د. نبيل الحفار (عربي)، كريستين كولمار (إنجليزي)
تصميم الغلاف: جوزيف كاي
الإخراج الفني: أبراهام زيتون

لائحة المصادر:

"Es wird etwas geschehen"
from: "Heinrich Böll. Werke. Kölner Ausgabe. Band 10. 1956-1959"
Herausgegeben von Viktor Böll.
©2005, Verlag Kiepenheuer & Witsch GmbH & Co. KG, Köln

"Der Tod der Elsa Baskoleit"
from: "Heinrich Böll. Werke. Kölner Ausgabe. Band 6. 1952-1953"
Herausgegeben von Árpád Bernáth
in Zusammenarbeit mit Annamária Gzurác
©2007, Verlag Kiepenheuer & Witsch GmbH & Co. KG, Köln

"Der Lacher"
from: "Heinrich Böll. Werke. Kölner Ausgabe. Band 9. 1954-1956"
Herausgegeben von J.H. Reid
©2006, Verlag Kiepenheuer & Witsch GmbH & Co. KG, Köln



نشرت من قبل جمعية هينريش بول مكتب الشرق الأوسط ٢٠١٧

المساحة التي تبقى

الإحتفال بهينريش بول في ثلاث قصص قصيرة

توليفة بصرية

نشرت من قبل جمعية هينريش بول مكتب الشرق الأوسط
٢٠١٧ بيروت

هاينريش بول – "واعظٌ بملاح مُهرج"

كان هاينريش بول واحداً من الشخصيات التي صاغت التاريخ الألماني بعد الحرب العالمية الثانية. كان أخلاقياً ومشاكساً، رصيناً ومناكفاً. لم يلجأ مطلقاً إلى الأسلوب التعليمي، لكنه غالباً ما استخدم سلطة اللغة في مواجهة الكنيسة والسياسيين اليساريين واليمينيين، وكذلك في مواجهة التراتبية الجامدة للنظام البرجوازي.

وُلِدَ بول في ٢١ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩١٧ في مدينة كولن التي احتلت مكانة مركزية في حياته. بدأ عام ١٩٣٩ بدراسة الأدب الألماني والآداب القديمة (الإغريقي والرومي). وكتب أثناء ذلك محاولاته الأدبية الأولى، لكنه لم يتمكن من إتمام دراسته، إذ سُحب إلى الخدمة العسكرية وحارب كجندي في الحرب العالمية الثانية حتى نيسان/ أبريل ١٩٤٥. بعد نهاية الحرب واعتقاله لشهور طويلة كأسير حرب عاد إلى مسقط رأسه في كولن. ومن ثم شكلت مرحلة خدمته كجندي الكابوسية وعودته إلى ألمانيا مدمرةً ومفلسةً أخلاقياً مادة قصته الطويلة "وصل القطار في موعده" (١٩٤٩). وخلال السنوات التالية ظهرت مجموعته القصصية المرتبطة بالحرب "أيها الجوال هلا عدت إلى إسبا..."(١٩٥٠)، وكذلك رواياته التي غالباً ما اعتُبرت أعماله الرئيسية، ومنها: "أين كنت يا آدم" (١٩٥١)، "ولم يقل أي كلمة" (١٩٥٣) و "بلياردو في التاسعة والنصف" (١٩٥٩).

وباستمرار تنامت مكانة بول كمرجعية أخلاقية في ألمانيا وكشخص غير مريح في إطار حركة فكرية يسارية جديدة. وفي روايته "آراء مهرج" (١٩٦٣)، عكس الكاتب تجربة حياته بصفته مؤمناً كاثوليكياً وانتقادياً في الوقت نفسه. وفي ١٩٧١ أصدر بُل روايته "صورة جماعية مع سيدة" التي اعتبرت من وجهات نظر متعددة العمل المرحّج لمنحه جائزة نوبل للأدب في السنة التالية. وفي الوقت نفسه نشر في مجلة "دير شبيغل" مقالة كانت فاتحة جدل مثير ومهم حول التعامل مع إرهاب 'جناح الجيش الأحمر'، وقدم عام ١٩٧٤ في أشهر رواياته "شرف كِتارينا بلوم الضائع" إسهاماً مركزياً حول مسألة العنف ووسائل الإعلام في هذا العقد من السنين. خلال الثمانينات تنامت فعالية بول سياسياً، ولاسيما في حركة السلام الآخذة في التوسع في ألمانيا وأوروبا. وفي عام ١٩٨٥ نشرت آخر رواياته "نساء أمام منظر نهر"، وفي ١٦ تموز/ يوليو من العام نفسه توفي بول في بيته في لانغنبرويش في منطقة آيفل.

ثمة ما سيحصل

رسومات ميجو رولتس \ صفحة رقم 09



ولد ميجو في القاهرة عام ١٩٨٨ ودرس السينما في Cerritos College. نُشرت أعماله في مجلات: توك توك، سَمندل، كلمات بلا حدود. كان المخرج الفني لمجلة Alak Fin وأخرج فيلم رسوم متحركة مع بي بي سي-العربي في عام ٢٠١٦. يعمل حالياً على روايته المصورة الأولى التي استلهمها من أدب نجيب محفوظ بعنوان " أولاد الجبلأوي". فاز ميجو بجائزة أفضل قصة قصيرة بقصته المصورة " الملائكة تنام في البحر" في CairoComix ٢٠١٥ .

موت إلسا بسكولايت

رسومات رفائله مكرون \ صفحة رقم 31



ولدت رفائله مكرون في لبنان عام ١٩٩٠ حيث أتمت دراسة الفنون التصويرية في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة ALBA. كانت منذ ٢٠١٢ تعمل رسامة تصويرية متفرغة، ونشرت عدة دراسات مصورة، وكانت عضواً نشيطاً في تجمع سَمندل منذ ٢٠١٤ ، إذ كانت رئيسة تحرير نشرتهم الأخيرة "Topia". تقيم حالياً في باريس وتعمل على روايتها المصورة الأولى.

الضحك

رسومات مجدي الشافعي \ صفحة رقم 49



مجدي الشافعي هو مؤلف ومصور أول رواية مصورة مصرية بعنوان "مترو"، التي ترجمت إلى عدة لغات. هو مؤسس ومدير CairoComix، أول مهرجان دولي للكوميكس في مصر. إضافة إلى ذلك هو محرر عالم الكتاب و الدشمة وهي المجلة المصرية البديلة للكوميكس. عرضت رواية " مترو" بين "١٠٠١ كوميكس يجب أن تشاهدها قبل أن تموت"، وفاز ٢٠١٦ بجائزة أفضل رسم تصويري للشباب بقصته المصورة " بكاء وراء الأبواب".

مقدمة

كاد يصيبنا القنوط لمرأى مكتبتنا ذات السبعة والعشرين مجلداً بكعب داكن الحمرة على امتداد متر ونصف، التي تشكل الطبعة الألمانية الكاملة لأعمال هاينريش بل. وهي تضم روايات، ورسائل، ومقالات نقدية لكتب، وقصصاً قصيرة، تعكس المسار الفكري للكاتب. إنها إرث أحد عمالقة الأدب الألماني، الذي فاز عام ١٩٦٩ بجائزة نوبل للأدب. لم يكن النقص هو مادفع قطرات العرق إلى جباهنا، وإنما أن نختر من هذه الثروة ما نريد تقديمه كتعريف بالكاتب، لجيل شباب جديد من المهتمين بالثقافة في العالم الناطق بالعربية.

لقد اشتهر بل بتطبيقاته ثاقبة النظر، لما كان يراقبه في المجتمع الألماني أثناء العهد النازي وبعده وبعد الحرب العالمية الثانية. كان يبحث عن "لغة قابلة للسكن في بلد لم يعد قابلاً للسكن"، وصاغ في لغة شعرية وعقلانية - واقعية، ما تعنيه هذه السنوات لألمانيا، بمنظور مستقبلي مازال يثير الدهشة حتى اليوم. وكون مؤسستنا تحمل اسمه لا يعود إلى تأثيره الأدبي فحسب، وإنما أيضاً إلى إرادته الملزمة بالتدخل: "إن التدخل هو الطريق الوحيد للبقاء واقعياً"، حسب تعبيره بكلماته عن موقفه. وهو لا يقصد التدخل على صعيد النظرية وحسب، وإنما دائماً على الصعيد العملي وبشكل بناء: لقد دافع بصلافة عن كتّاب تعرضوا للاعتقال أو التهديد من قبل أنظمة استبدادية. وعندما وجدت ألمانيا نفسها في حالة "جمود الصدمة" تجاه إرهاب "الخريف الألماني" في سبعينات القرن الماضي، بذل بل كل ما بوسعه لئلا ينقلب جو الخوف هذا إلى ديكتاتورية التفكير الأمني. وبمنأى عن استحسان الممارسات الإرهابية أو تبريرها، عمل بل بجهد كبير على تنويع وجهات النظر في النقاش المطروح، وعلى حماية المجتمع من التخلي بسهولة عن الحريات المكتسبة بصعوبة.

ومن دون أن يصيغها بشكل صريح، دافع بل أيضاً عن حق الثقافة الخاص، وحسب صياغة المسرحي السوري عبد الله الكفري: "الحق في أن تخلق" - الحق في التخيل حتى في الأوقات التي يتسابق فيها الواقع بلامعقوليته مع التخيل.

إن الأزمة السياسية في أجزاء واسعة من العالم العربي تترافق مع ازدهار في الإبداع الثقافي. ندر أن قُدِّم مثل هذا العدد من الإبداعات الغنية من هذه المنطقة على مسارح العالم، لتعرض الواقع القائم وفي الوقت نفسه احتمالات تغييره. التخيل يعني التفكير باحتمالات، تصوّر التواجد في مواقف أخرى، لتبيان أن التطورات لاتبشي بخط مستقيم وأنها ليست دون بدائل محتملة.

إننا نأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، باختيارنا ثلاث قصص، يتمازج فيها التخيل والواقع، المحتمل وغير المحتمل في حياة الشخصيات الرئيسية:

في قصة "ثمة ما سيحدث" تصل الشخصية الرئيسية إلى حدّ الكمال في إنجاز عملها اليومي عديم الأهمية، برتابته السخيفة والبليدة، ليتحول تقييمها الحقيقي في نهاية المطاف إلى شيء مغاير تماماً. وهناك مأساة إلسا بَسْكولايت، التي يتسبب رقصها الفتى المنطلق في تقولات خفية ولو جزئياً، والتي تتابع الحياة فنتازياً بعد موتها، فيما يكاد أقرب الناس إليها يختنقون من عدم استيعاب ما حدث. ومهمة " الضَّحَاك " تتمحور في تمثيله فرح الحياة و إصابة الآخرين بالعدوى بها، ولكن تحت فعله الظاهري يكمن اكتئاب عميق.

هذه الشخصيات الثلاث – المجهولة والمألوفة رغم ذلك – تُظهر تناقضاتٍ ولا معقوليات الحياة اليومية الحديثة وتُذكّر في الوقت نفسه برقة جمالها.

إن الفنانين: ميغو رولتس، رفائله ماُكرون، مجدي الشافع يبيّنون في هذا الكتاب تأويلاتهم لهذه القصص، بأن يبنوا جسراً ليس فقط إلى ثلاث قصص مميّزة من سياق مجهول، بل إلى أنه لا ضرورة لجواب ختامي لكل شيء، بغية استخلاص الإلهام منه.

هايڻريشن بل

ثمة ما سيحصل



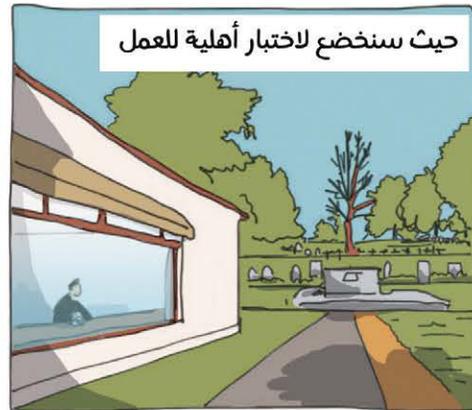
ثمة ما سيحصل

قصة/

هاينريش بل

رسوم/

ميجو



منظر المعمل بحد ذاته أثار ارتياحي:
كان المعمل بكامله مبنيا من
القرميد الزجاجي، وكان نفوري من
الأبنية المضاعة والغرف المنيرة
شديدا مثل نفوري من العمل



المير ذي الألوان المبهجة



وقد ازددت رغبة عندما قدم لنا
فورا فطور في مطعم المعمل



بينما كانت الأسماك الذهبية تضغط وجوها
المكبرة على الجدران الزجاجية لحوض السمك
بالمطلي بالأخضر الفاقع



أحضرت لنا نادلات جميلات بيضا وقهوة و
خبزا محمصا وكان هناك عصير برتقال في
دوارق أنيقة الشكل



كن ممثلات بأناشيد غير مغناة مثل
دجاجات تتحضرن لوضع البيض



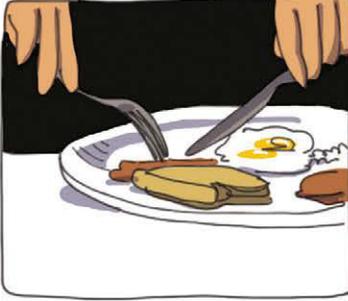
بدت النادلات كأنهن سينفجرن من البهجة،
أحسست أن الإرادة القوية فقط هي التي
حالت دون دندنتهم للحن ما طوال الوقت



متقمصا فكرة إنني أنعش
جسمي بمواد مغذية

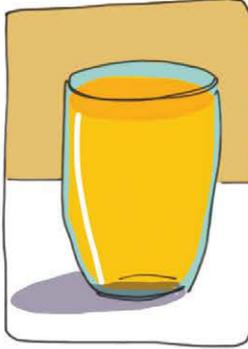
وهكذا رحت أعلك
الطعام بتفان

وحدثت فوراً بما لم يتحدث به، على ما
بدا، رفاق درب الألام، بأن هذا الفطور هو
أيضاً جزء من الاختبار



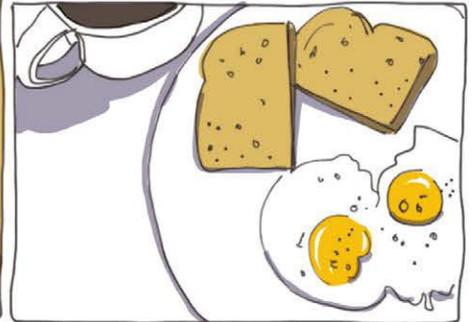
شربت عصير البرتقال على الريق

فأقدم على الدنيا قادرة



ثم نهضت وأخذت أذرع المطعم جيئة
وذهاباً بقصدية واضحة

لم أكثرث للقهوة والبيضة وتركت جزءاً
كبيراً من الخبز المحمص



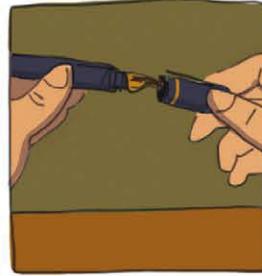
وهكذا كنت أول من تم
إدخاله إلى قاعة الامتحان،
حيث كانت أوراق الأسئلة
موزعة على طاولات لطيفة.
كانت الجدران مطلية بدرجة
من الأخضر قادرة على انتزاع
كلمة "ساحر" من شفاه أي
مهندس مهووس بالتصميم الداخلي



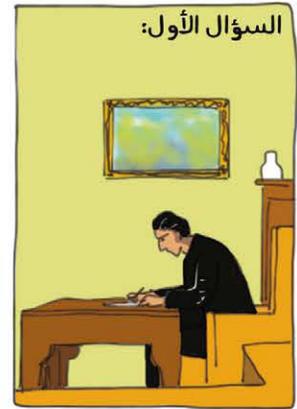
لم يكن في القاعة سواي، ومع ذلك كنت واثقاً من أنني
مراقب، فتصرفت مثل تواق إلى العمل يعتقد أنه غير مراقب

جلست إلى أقرب طاولة، وسحبت ورقة الأسئلة مثلما يسحب عصبي ورقة الحساب في حانة

فأخرجت بنفاذ صبر قلم الحبر السائل من جيبي نزعت غطاءه



هل تجد من المناسب أن يكون للشخص ذراعان وساقان وعينان وأذنان؟ هنا ولأول مرة قطفت ثمار تأملاتي، فكتبت من دون تردد حتى أربعة أذرع وسيقان وأذان لن تليبي توقي للعمل كفاية. إن تجهيز الإنسان بأثس



السؤال الأول:

السؤال الثاني: كم هاتفًا يمكنك أن تستخدم في الوقت نفسه؟ وهنا أيضا كان الجواب سهلا كحل معادلة من المستوى الابتدائي. فكتبت: لو كان هناك سبعة هواتف فقط لنفذ صبري. بحاجة لتسعة هواتف كي أشعر أنني مشغول تماما



السؤال الثالث: كيف تمضي وقتك بعد الدوام؟
جوابي:

ما عدت أعرف تعبير "بعد الدوام". محوته من قاموسي في عيد ميلادي الخامس عشر. ففي البدء كان الفعل



حصلت على الوظيفة. وفي حقيقة الأمر شعرت أنني حتى بتسعة هواتف لست مشغولا تماما. كنت أصرخ في سماعه الهاتف:

لقد فعلنا شيئا

يفترض أن يكونوا
قد فعلوا شيئا

سنفعل شيئا

تصرف فوراً!

إفعل شيئا!

يجب أن نفعل
شيئا

تصرف فوراً!



ولكني غالباً كنت أُلجأ إلى فعل الأمر، فقد بدا لي
مناسبا للجو



كنت أجد استراحات الغداء مثيرة للاهتمام، كنا نجلس في المقصف نستمتع بوجبات مغذية، محاطين ببهجة صامتة، وكان معلم فونزديل يعج بأناس مهووسين بسرد قصص حيواتهم، كما هو الحال مع كل الشخصيات الكبيرة قصص حيواتهم بالنسبة إليهم تعد أهم من حيواتهم نفسها. بكيسة زر، كانوا يتقيؤونها كاملة



وكان معروفا لكونه قد تمكن من إعالة سبعة أطفال وزوجة مشلولة بعمله الليلي حين كان طالبا



نائب فونزديل كان رجلا يدعى بروشك

إضافة إلى نجاحه بالتمثيل التجاري لأربع شركات معا، واجتياز امتحاني دبلوم بامتياز، كل ذلك في غضون سنتين



عندما سأله الصحفيون: "متى تنام"
ياسيد بروشك؟" أجاب:

النوم إثم!



فيما قدمت الدكتوراة في علم النفس وعلم الاجتماع



سكرتيرة فونزيدل أعالت زوجا مشلولاً وأربعة أولاد بأعمال التريكو



وربت كلاباً بوليسية



واشتهرت كمغنية بارات باسم Vamp 7 في الوقت نفسه

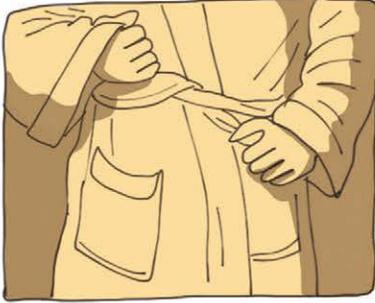


كان واحدا من أولئك الذين ما إن يستيقظوا صباحا حتى يكونوا قد



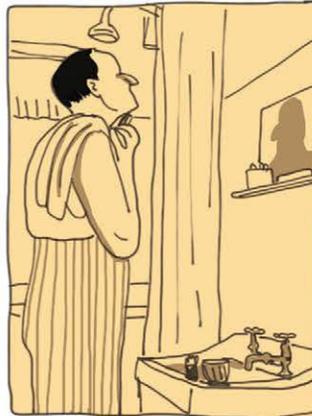
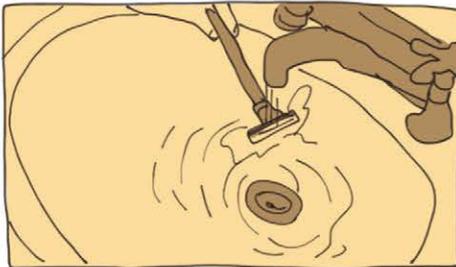
فونزبدل نفسه

يفكرون وهم يشدون حزام روب البيت "يجب أن أتصرف"



قررُوا التصرف

وينظرون بانتصار إلى شعر لحاهم الذي يشطفونه مع رغوة الصابون عن آلة الحلاقة

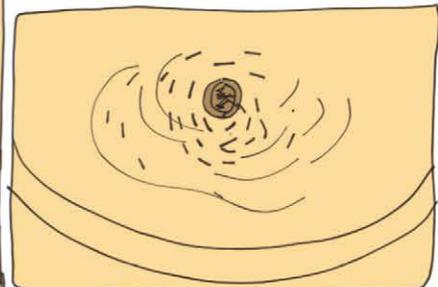


وفكرون وهم يخلقون ذقونهم "يجب أن أتصرف"



حتى إنجازات الصباح الأكثر حميمية تحقق لدى هؤلاء نوعا من الرضا: الماء يتدفق والورق يستهلك . ثمة ما حدث

بقايا الشعر هذه هي الضحية الأولى لاندفاعهم للعمل



كان فونديزل يقوم بأبسط الأفعال كأنها عمل عميق



والبيضة يقطع رأسها



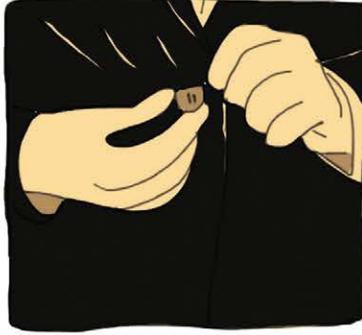
الخبز يؤكل



القبلة التي يطبعها على وجه زوجته، كل واحد من هذه كان فعلا بحد ذاته



تزرير المعطف بأصابع تهتز من فائض الطاقة



وضع القبعة على الرأس



وكانت تجيب بمزاج مبتهج:

ثمة ما سيحصل!



لابد أن يحصل شيء!

عندما يدخل إلى مكتبه كان يقول لسكرتيرته من قبيل التحية:



و عندما كان يمر بغرفتي، كنت أهتف مشرقا

ثمة ما سيحصل!



لابد أن يحصل شيء!

عندما كان فونديزل ينتقل من قسم إلى آخر هاتفا ببهجة: "لابد أن يحصل شيء! فيجيبه الجميع: "ثمة ما سيحصل!"



خلال أسبوع واحد رفعت عدد هواتف المشغلة إلى أحد عشر هاتفا



وخلال الأسبوع الثاني إلى ثلاث عشرة هاتفا



كنت أتسلى في الترام صباحا وأنا أبتكر أفعال أمر جديدة من جذر "عمل" عبر مختلف صيغ الصرف، وحالات النصب والرفع والجزم



ثم صيغة أخرى خلال اليومين التاليين:

ما كان يجب لهذا أن يحصل



كان يفترض أن يحصل شيء

وطوال يومين كان كل ما رددته جملة واحدة، لأنني أحببت صيغتها:



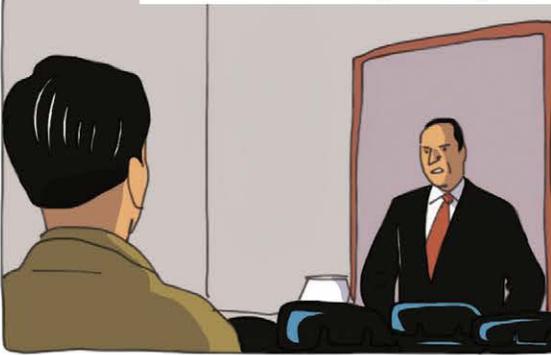
ولم أكن قد جلست بعد، اندفع فونزيدل إلى غرفتي هاتفا جملمته المعهودة:



وهكذا بدأت أعمل بكل قدرتي حينما يحدث شيء ما فعلا. وذات ثلاثاء صباحا



يبدو أنني أطلت في التردد، إذ إن فونزيدل



لكن شيئا ما في وجهه غير قابل للتفسير جعلني أتلكأ في الإجابة بالبهجة المطلوبة: "ثمة ما سيحصل!"



فأجبت بصوت خافت وممتنع، مثل طفل يجبره أحدهم أن يقول: أنا ولد سيء. وبجهد جهيد لفظت الجملة:



الذي لا يرفع صوته عادة، صاح بي:



سقط فونزيدل أرضا، وتدرج في سقوطه على جانبه واستلقى بعرض الباب المفتوح



وما كدت أنهيها حتى حدث شيء فعلا





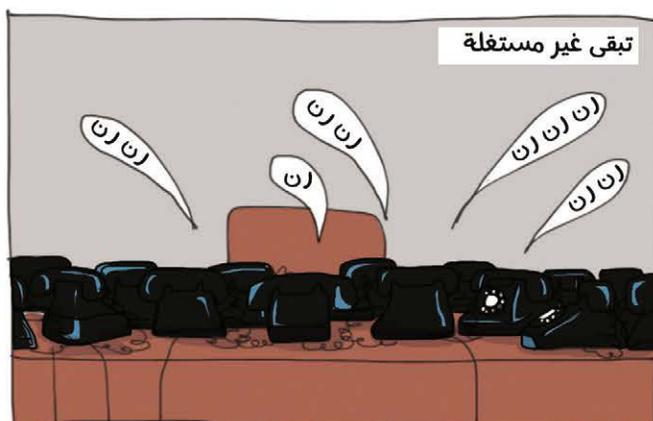
فيما يخدم بقدميه الحافيتين آلة تريكو موضوعة تحت مكتبه، إنه يسهم بهذه الطريقة في استكمال ثياب عائلته







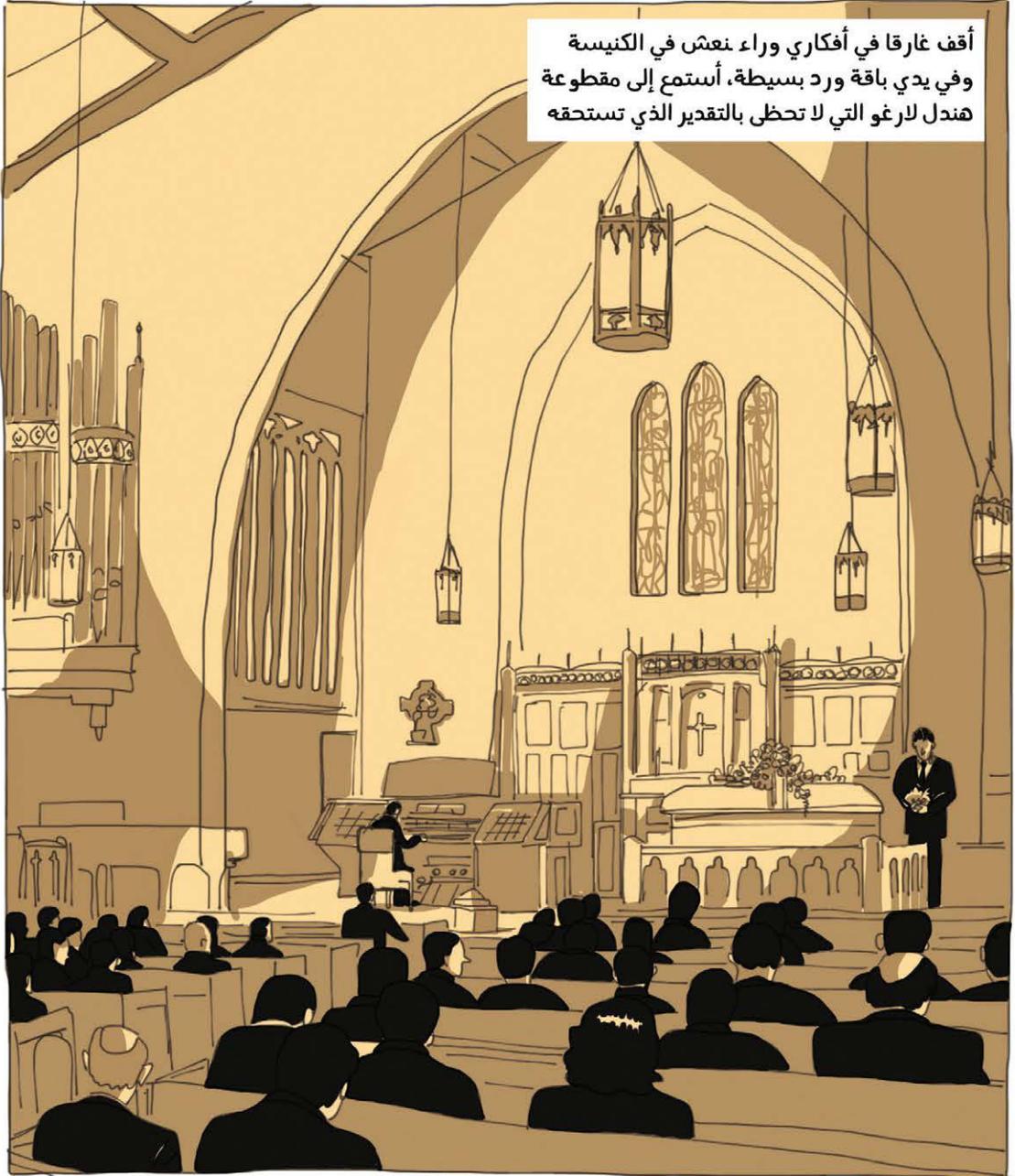
وثمة ما حدث : دفن فونزديل، وتم اختياري لأمشي وراء النعش حاملا إكليل من الورد الاصطناعي، إذ إنني لا أتميز فقط بالتأمل والتبطل



بعد مشاركتي الأولى في جنازة كمحترف، أدركت فوراً أنني
أنتمي إلى هذا العمل، وأن هذا المكان هو الأنسب لي



أقف غارقاً في أفكاري وراء نعش في الكنيسة
وفي يدي باقة ورد بسيطة، أستمع إلى مقطوعة
هندل لارغو التي لا تحظى بالتقدير الذي تستحقه



حيث أقضي الوقت بين عروضي
الاحترافية



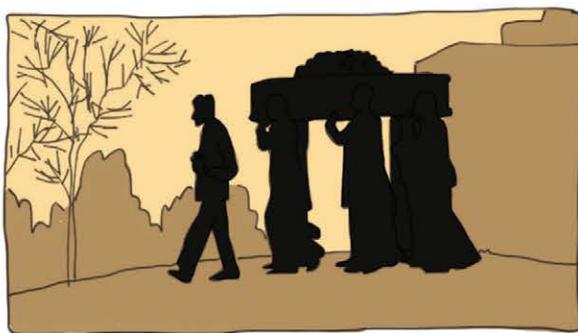
صار مقهى المقبرة مكاني الدائم



وأشتري باقة ورد من جيبى لأرافق موظف
الضمان الاجتماعي الذي يمشي وراء نعش
أحد المشردين



لكني أحيانا. أسير وراء نعوش دونما تكليف



وبين الحين والآخر أزور أيضا قبر فونزيدل



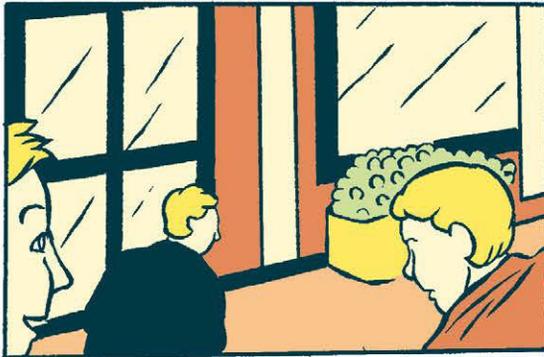
ففضله اكتشفت مهنتي الحقيقية، مهنة مرغوب
فيها التأمل، والتبطل واجب



مرت فترة من الزمن قبل أن يخطر في بالي أنني لم أهتم مطلقاً بمعرفة
المنتج الذي يصنعه معمل هونزيدل. أظن أنه الصابون



موت الاسكندر بسكولا بيت



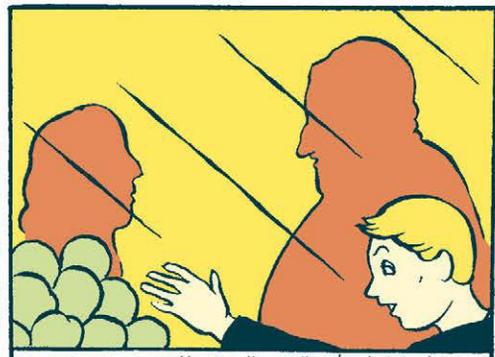
وهي دمالير القبو كان هناك دائما "صناديق جرتقال،
وتفوح في انجو رول! نبي مواي و عطنة جهرها وجرها
بسكولا بيت للتحريك مع القهوة.



قبو الادار التي كمناسكتن فيها سا بقا"
كان مؤجرا" لتاجر اسكندر بسكولا بيت



لكنه في صميم قلبه كان انمانا" مرها"



ومن وراء كمشافة لوج الزجاج البصفر كمناسكع صورة العريض
بلهوية بروسيا السخرتقوي وهو يشتم الزمن الرديء.



ووجيو بوج مهتائغ بالتفاح والبرتقال
وغيرهنا لنا مثل طابايت.



فكثيرا" ما كان يصعد الى نجات القليلة
اليكودي من القبو الى الشارع...



كنا نعرف بالآفة الهروفوة عن
الاطفال فقط، ان شنتايه كانت
تهشيتيه، وكذلك توبييه المسترلنا...



ولربها كانت راقصة منذ ذلك العيس. فقد كانت تتدرب كثيرا، نجحت في معرفة القبو الطليح بالأصفر الجاور لطبيع بسكولدين.



بين هائل أنتيوسا، التي كنا نعرف منبرها أنها تريد ان تصير راقصة.



غير ان بسكولدين كان منبرا" لادتهام...



مرندية تريكو اعصر باهتا، فتطير وتقوم طوال دقائق مثل البعوضة.



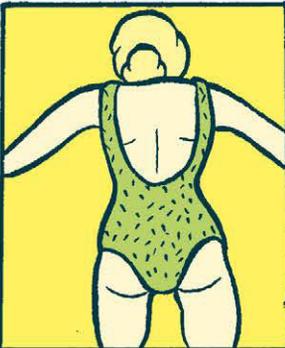
فتاة شقراء، رشيقه تقف على رؤوس اصابع قدميها



من معرفة نوهي كان بإمكانني رؤيتها عندها تربط العنقه.



وهي تدور حول نفسها أو تقفز على نحو متوالٍ سريع



ووجهها المشاهب المجرّد ورأسها الاشقر.



في الاستطيل الأصفر من جزء النافذة أرى جسمها النحيل في التريكو الأصفر كالشمس



... فتتوسّع دائرة إنازتها للعطلات إلى حوضى الإدارة الرمادية.



التي تبدأ بالتأرجح...



الذي يلامس أحياناً أثناء القفز اللبغ العارية...



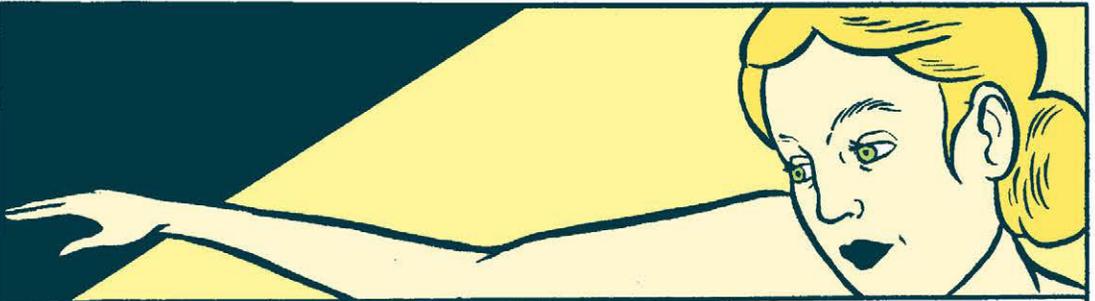
وهناك آخرون كانوا يصيحون



ولم أكن أعرف معنى كلمة عامرة



كان هناك أناسي يصيحون عبر العوشى



ورغم إعتقادي بمعرفة معنى بذاءة، لم استطع تصديق أنّ لبلسا علاقة بها...



ومع النور الساقط من نافذة المطبخ المفتوحة على العوشى يصيح باتجاه العنمة بسبيل من الشتائم التي لم أفهم أياً منها.



بندما كانت تفتح نافذة مطبخ جسكوليت ويطلق منها مع دفات الهقلة رأسه الثقيل الأصلع



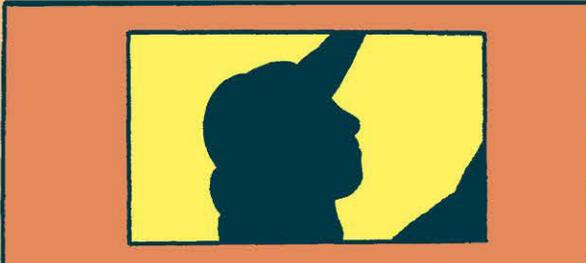
لكنني كلّ فساء كنت انظر الى ذلك المستطيل الذي يشع
بضوء ضعيف وأبداها، رغم عدم قدرتي على رؤية أي شيء



على أية حال، سرعان ما وُضع لنا فوهة خروفه السا ستارة
من فئول سسبك أخضر، بحيث انعدم تقريبا
نفاذ ضوءها الى الخارج



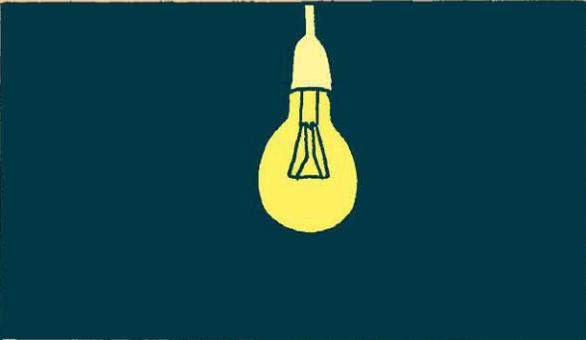
إلسا بسكولديت بالتركوا الأخضر كالنسم، ندية وشقراء.
تقوم للحظات تحت اللمبة العارية.



وعرفت معنى كلمة عاصف، واعتقدت إنني
أعرف ما هي البزاعة ...



لكننا سرعان ما انتقلنا، وأنا كبرت ...



... التي لم أكن أسمع عنها أي شيء.



شأعت راقصات، لكن أنا "فنهن لم تعجبني
مثلها سبق أن اعجبني إلسا بسكولديت ...



انتقلنا إلى مدينة أخرى، وهناك
العرب، حرب طويلة، ولم أجد
أفكرت بالسايسكوليت، كما لم
أجد التفكير بها عندما عدنا إلى
المدينة القديمة.

جريت نفسي في مختلف المدن
إلى أن صرت سائفاً عند
ناهر فواكو والجملة، والتعامل مع
الشاذل كان الشبي، الوطين
الذي أتقناه حقاً!



ذات يوم، فيها كنت أفق على نصف التسع.
هيت تيلد شأهنتي، وأقارن على اللائحة ما
بضعه مدير المستودع فيرا...



كنت أجهل صباح كل يوم على لائحة وصناديق
تفاح وبرتقال وسمك فوخ وأتجه إلى المدينة.



أيكننا
تزويد بسكوليت؟



خرج الحاسب من كابينة الرقطة هدرنا بلصقات
دعائية للجوز وسأل مدير المستودع



بين العين والأخر
بطلب شيئا؟ كنيا
أسود. لا
أعرف
السبب

لكننا لدر
نستطيع تزوده...
تادعوا !!

صاح جاليمين ذو الميرال الرفادي.



هل طلب شيئا؟

عنيا أسود؟

نعم



بل لأيت الجزر المستطيل المضيء من نافذة الشبو...



عاد الحاسب زلي كابيتي، أفا أنا فلم أعد فنتيها، ما إذا كان الجالون
ببضعون هفا في الشاهنة ما ورد في لائحة...



رأيت إلسا جاسكولويت ترقص، نعيمة وشاهية، ومرندية التريكو الأخضر كالسهم، وأخبرتني في ذلك الصباح عن خط سير مختلف من ذاك الممثل لي.



ومعظم الدور فؤودة، وصارت شاهنتي تطلق عير مطبات عميقة.



لم تبتلع من أعمدة مصابيح الشارع، التي كنا نلعب عندها إلت ولهدا، وهذا كان جلد رأسى.



رفع نظره عندها مررت به. ثم حتى رأسه ثانية.



صبي شاهدت دابن الشعر، بولتسى متعباً علي بقية هدار، ونرسم أشكالاً في الغبار الضارب للبياض.



لم يكن هناك سوى ولد واحد في الشارع، الذي كان يعبر بهم.



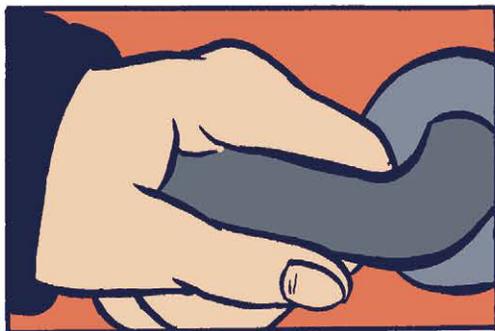
كانت واجبات منبرة الزاهية الصغيرة معبرة، تبة أمراوات فتساقطة من حلب المارتون، وقد جانت لونها الأخضر أسود من الوهل.



تمررتني عند دار جاسكولويت وترجلت.



شبهت رائحة دياران حساء جادة لعقبت دها الرطوبة فباتت
كتلة في علبة تزكون موضوعة قرب الباب، ثم رأيت
ظرف بسكولايت.



رفعن نظري إلى جوار الدار الهرم، وتعدد فتحت
الباب الهندي إلى المخبز ونزلت على الدرجات
جذلاء.



وأهسست بانزعاج من صب العسل من برميل كبير في زجاجة



رأيت الشعر الأشيب تعن طاقيتي...



وهنا إلى الأرض هبت شكل بركة
صغيرة في دقعة من خشب الأرضية
ذات رائحة عطرية وتصدر صرخة
تعت هذا أزع.



كان جلياً أزع لم يعسن التعامل مع سعادة
البرميل، فتعال السائل الأصغر على أصابع



وأهيرا جذا أزع قد تمس من ملد
الزجاجة فألقها بسدا انرا...



عند نضج المخبز، وففت امرأة نعيمة في عطف ضارب للسمرة،
تنظر إلى بسكولايت بلاد مبالدة.



وضع ديسكولديت الزجاج على النضد، كان وجهه شاهيا وغير حليق، ثم نظر إلى المرأة وقال...



وكبرت أنا ما قلته عند الباب، قلت بصوت خافت. لم أتلف جواباً من أهد.



إنفتحت ماتت. نظر إلى المرأة، وكأن الأمر قد حدث مؤخرًا، نظر إليها هائلاً...



أعرف أنفوز فنز خميس سنوار. أحتاج أيضاً إلى رطل للتطيف



إنفتحت ماتت - إلسا.



سحب ديسكولديت برميلاً مسجلاً من تحت النضد، تكسرت فيه قلباً بمجراف معدني، ثم رفعه وبعث الكتل الصفراء وصبرها جيداً بالبركتيين شي كيبس ورفي رفاذي.



من القلت - كيلو. لكترا قالت.



دينا تلفت هولبي دون أن اكتشف شيئاً سوى قلب وعشرون قلماً الخبار...



بقيت المرأة صامتة. إنفتحت ماتت.



... ولوحده مطليّة دالينا تشيل فتى
أهتسر ويتسيم وضو جا كل شوكلاتة
لم تعر فتومرة امن ستوارت.



ورمل الشطاف...



وبرميل الغل الذي أخذ صنوبره ينقله ببطء...



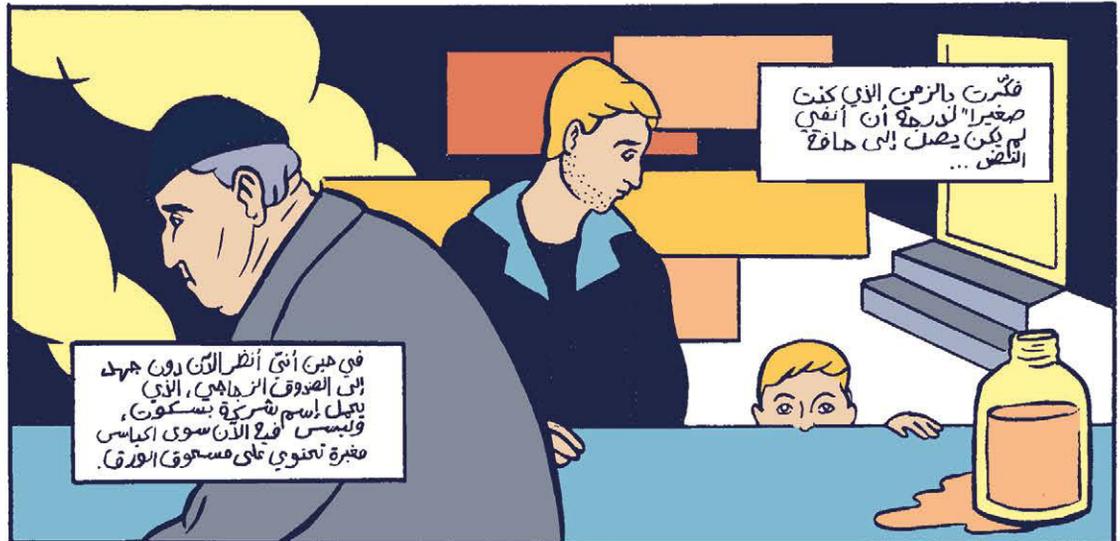
وعندما استدارت وهضت فتيا ورة! جاي نظرت
إلى عينسها وهي تنقر جاصعها لمن جبينها بحفّة



وضعت المرأة زجاجة الغل في شبكة تسوقها
ولاي هانبرها كيس رمل الشطاف، رمت على
النظر بعض قطع العجالة المزدنق.



فكّرت بأصوار كثيرة...



فكّرت والزمن الذي كنت
صغيراً لدرجة أن أنفي
لم يكن يصل إلى حافة
الأنف...

في حين أنّي أنظر الآن دون جهد
إلى الصدوق الزجاجي، الذي
يحمل اسم شركة نيسكوت،
ويلبس فيلا الآن سوى اكياسي
مفخرة تحتوي على مسحوق الورق.

ولاحظت بدون أنني
أنكش على نفسي وأصغر

وأهسبت وأثني نوت
جافة النص التستيز.

أهسبت في راحة
بدي بالقروشي
لشراء السكر.

رأيت السا
بستولاديت
ترقص

سجعت أناس
بهنون من
العوشي.

يا لفره!
بناوة!

إلى أن ابقطني
صوت بستولاديت.

إبنتي ماتت





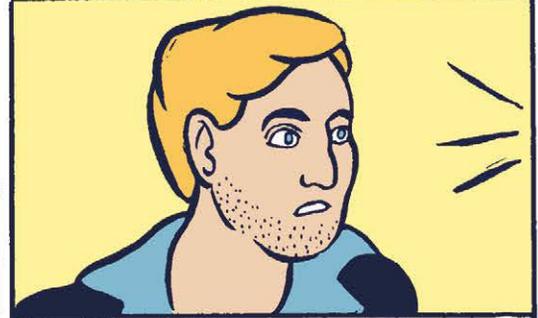
فيها جنس اب الزمن من هولني بعيدا



بدا أبي بقيت واقفا هناك بلا نهاية، ضائعا
ومنتسيا.



كانت قصيرة ومكتنزة هامة كيسس المشتريات أمام
كرشها، وقد التفتت بسكولديت نحوها وقال



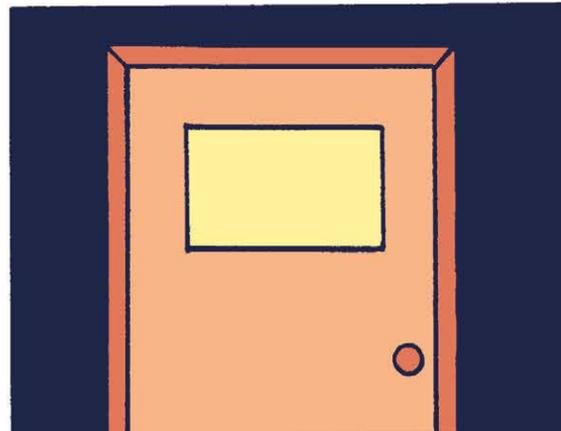
لم استطع انتزاع نفسي من الحالة إلا عندما
دخلت امرأة أخرى إلى المتجر



وبدأت فجأة بالبكاء



إبنتي ماتت



وعاد بسكولديت إلى وراء النضد وتكشى قليلا
والجرف في الترميل.



قل لأرشد
فمن الشطاف
فمن فضلك
فمن القلت
كيلو و'



كان الصبي الشاهد الراكب الشعر الجالس على
 جقع العزاز واقفاً الذن على موطنه. سها هنتي
 ينظر باهتمام إلى التابوه.



كانت المرأة لا تزال تبكي عندما خرجت



وأخذ يعرّن مؤشّر الاتجاه حيناً ويساراً.



وقد قد إلهى يدع عبر النافذة المفتوحة



ارتعب الصبي عندما وقفت وراء ضيأة، لكنني
 أمسكت به.



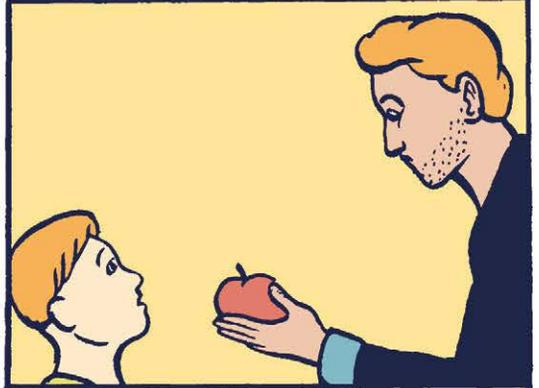
ونظرت في وجه الشاهد الخائف



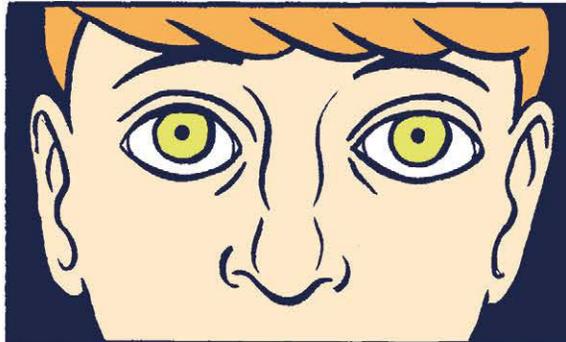
نظر إلي مندهشا " عندما تركت



تناولت تفاحة من الصناديق في ساحتني واخذت
ياها.



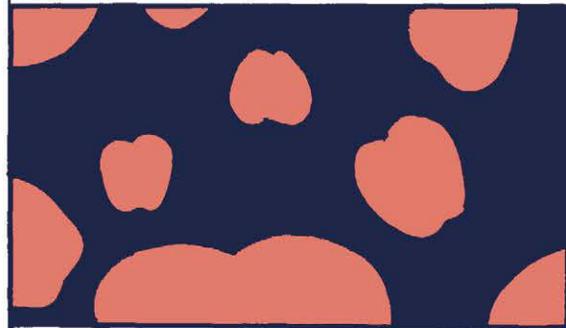
مددشا " لدرجة أزعجتني



ووضعتهم في هبي



فتناولت تفاحة أخرى وأخرى



ودسمت كثيرا" من التفاح توت سترت



عندما أُسأل عن مهنتي، تتأبني الحيرة: فأحجّر وأتلعثهم،
أنا المحروف عادةً بنفسي.



إنني أحسد أولئك الناس
الذين يوسع أحدهم أن يقول:
أنا بنّاء

أحسد الحلاقين
والمحاسبين و الكُتّاب

على بساطة تعريفهم بأنفسهم،
كل هذه الهن تشرح نفسها
بنفسها

ولا تتطلب تفسيرات مطولة.
لما أنا فيني مُجبر على الإجابة
على مثل هذا السؤال بالقول:

أنا ضحّاك

مصة الضحّاك هاينريش بل

رسوم ومعالجة فنية: مجدي الشافعي

و تعريف من هذا القبيل
يتطلب تعريفاً تالياً، و سأجيب
رباً على السؤال الثاني:

وهل تعيش منها؟

نعم

مجدي الشافعي



فأنا أعيش فعلياً من ضحكي، وبصورة جيدة. إذ إن ضحكي - حسب التعبير التجاري - مطلوب. فأنا صئاذك جيد محترف، لا نظير لي، لا يوجد من يتفوق الفرق الدقيقة لمني ملي. لمدة طويلة كنت أزعج - لتجنب الشرح المزعجة - إلى مهمل



إلا أن قدراتي الإبداعية والصوتية كانت على درجة من الضعف، بحيث بدأ لي هذا الزعم غير منسجم مع الحقيقة؛ وأنا أحب الحقيقة، وهي أنني ضئاذك أنا لست مهزجاً ولا بهلواناً



أنا لا أبهج الناس
ولمنا أجدد البهجة.

و كذلك ضحكة
القرن التاسع عشر



أتقن ضحكة
القرن السابع
عشر



أو ممثل
طالب بكالوريا
حساس



إني قادر على
الضحك مثل
إمبراطور روماني



وإن استدعى الحال فإنني أقلد ضحكة كل القرون وكل الطبقات الاجتماعية وكل الأعمار؛ لقد تعلمت ذلك ببساطة، مثلها يتعلم الإنسان تركيب زغال الأحذية. ضحكة أميركا قد في صدري وكذلك ضحكة أميريقنا، ضحكة أبيض، أحمر، أصفر. ولفاء الأجر المناسب أطلق الضحك ليصاح، حسب إرشادات المخرج.

لقد صرت ضرورياً لا يُستغنى عني، صرت أضحك
في الاسطوانات، أضحك في أشرطة التسجيل،
ومخرجو التهليليات الإذاعية يعاملونني بهرابة.

أضحك



أضحك، ضحك الصباح،
ضحك المساء، ضحك الليل
و ضحك ساعة الغسق، باختصار:
إني أضحك، حسب المكان
وحسب الظروف، وهما يكن.
لا بد من أخذ كلامي على محمل الجد،
بأن هذه المهنة مبهمة، ولا سيما
أن أضحك الضحك المهدى أيضاً
- وهذا اختصامي -



فصرت ضرورياً أيضاً لهجري الدرجة الثالثة والرابعة،
الذين يرتجفون بحق عند بلوغ ذروة فقرتهم.

فأجلس كل مساء تقريباً في أحد مسارح النواعات، كنوع من مصفق مأجور
سراً، كي أضحك على نحو مهدي في المواضيع الضعيفة من برامجهم



ووجب أن يأتي الضحك حسب الطلب،

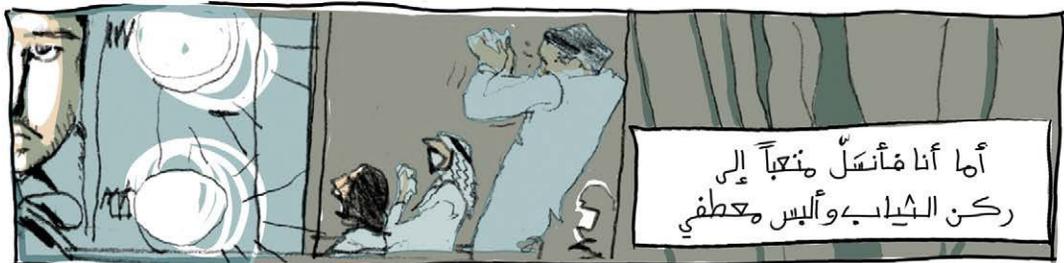
بل يجب أن يأتي في اللحظة
المناسبة - عندها انفجر بالضحك
حسب البرنامج، فيضحك جميع
المستمعين معي، وبذلك
يتم إنقاذ ضفة النكتة.



ولا يجوز أن يتأخر،



فضحكى المنطلق الصاحب
لا يجوز أن يُبكر،



أما أنا فأنسل متعباً إلى
ركن الثياب، وأليس محطفي

غالباً ما أجد برقيات
بانتظاري



سعيداً بأن عملي اليوم قد انتهى أخيراً.
وفي البيت



وبعد ساعات قليلة
أجدني جالساً في قطار
سريع مبالغ في تدفئته
أشكو قدرتي.

وسيفهم الجميع أنني بعد انتهاء عملي أوفي الإجازة، لا
أحس بميل كبير إلى الضحك: فالكلاب يفرح عندما مايجوز
له أن ينسى البقرة، والبناءء الهلاط كذلك، وبيت النجار
لايخلو من بابٍ مخلوع أو من أوزج لا يفتح إلا بجهد.
الكلواني يجب الخلل الحامض، والجزار يجب المرزبان،
والخباز يفضل التفانق على الخبز، صارعو الثيران
يفضلون صحبة الكمام، والملاحون يشحبون لمراى
أنوف أطفالهم تنزف: إنني أتفهم هذا كله، لأنني لا أضحك
مطلقاً بعد الدوام. أنا رجل جاد تماماً، والناس يعتبرونني -
وقد يكونون محقّين- منشائياً.

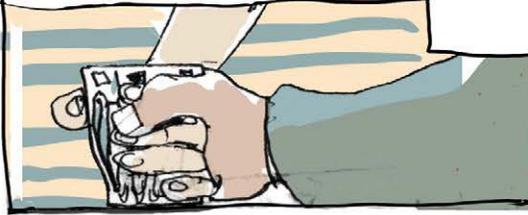
لكنها أدركت لاحقاً
أنني لست قادراً
على تلبية رغبته
هذه.

في السنوات الأولى من
زواجنا كانت زوجتي
تقول لي
"إضحك قليلاً يا رجل"

أكون سعيداً عندما أتوصل بالجدية العميقة إلى استرخاء
عضلات وجهي الوجهة وروحي المرهقة.



وهكذا فإننا نعيش حياة زوجية هانئة
صالمة، لأن زوجتي أيضاً نسيت
الضحك.



حتى ضحك الآخرين ينفرنني،
لأنه يذكرني جداً بهنفي.



نتبادل الحديث فيها بينما بصوت
هادئ، لأنني أكره ضجة صراح
الهواتف، أكره الضجة التي يمكن
أن تسود في غرف التسجيل.



بين الحين والآخر أضبطها
مطلبة بابتسام،
وعندها ابتسم أنا أيضاً.



الناس الذين لا يعرفونني، يعتبرونني إنطواثياً.

يُحاولون أني كذلك.

من كثرة اضطراري إلى فتح فمي للضحك.

إنني أعبرُ حياتي الخاصة بسحنةٍ لا تتغير

وبين الحين والآخر أسمح لنفسي بإبتسامة ناعمة،

وأفكر غالباً بها إذا كنت قد ضحكت نائياً يوم.

أعتقد: لا.

إخواني يتذكرون في أحاديثهم أنني لطلها كنت فتي جاداً دائماً.

وهكذا أضحك مختلف الضحكات، لكني لم أسمع ضحكتي أبداً.

